العدد 2221 - السنة الثامنة
الجمعة 8 شوال 1436 - الموافق 24 يوليو 2015
Friday 24 July 2015 - No.2221 - 8th Year

علّق الشِعر هذهِ الشَذرة على بابكْ

هويـة النص

نص من ماض مهجور . كان من شروط تعلم الشعر عند العرب – إن صحت نظرية تعلم الشعر – أن يطلب من محب الشعر في مرحلة التلقي حفظ كثير من الأشعار الجيدة .أو أن يكون راوية لشاعر مشهور يروي عنه شعره الجيد وبالتالي لتكون لديه الملكة الشعرية من خلال التأثر بالمحفوظ .

ومع الزمن وعندما يصل الشاعر لمرحلة الإنتاج يختلط إنتاجه بما قد حفظه في المرحلة السابقة .وهنا يقع ما يسمى بتداخل النصوص أو ما يصطلح عليه نقديا بالتناص .

وهذا المصطلح وإن كانت له جذور في أدبنا العربي ،إلا أن النقاد العرب ذهبوا إلى مصطلحات أخرى تحمل نفس الدلالة النقدية وإن اختلفت التسمية .

وخلاصة كل تلك المصطلحات هو تداخل النصوص وأن كل نص حاضر هو مجموعة من النصوص الغائبة .

وليس المجال هنا لعرض مصطلح التناص على الرغم من صعوبة ذلك .لأن هذا المصطلح مازال ضبابيا ،من حيث حدوده التي يقع فيها وكثرة تعريفاته التي قد توسع من دائرة التناص .

ولعل أبسط أنواع التناص هو التناص الإيقاعي خاصة في الشعر العمودي الفصيح ،أو الشعر النبطي ،وهو مايقع فيه التوافق في الوزن والقافية .ومن هنا جاء الخلط في نسبة بعض النصوص عند الكثير من رواة الشعر ومتذوقيه ،نظرا لغياب النقد الذي يهتم بظروف إنتاج النص ومعرفة الحقول الدلالية التي يمكن أن تشكل جسد النص وتصبغه بلون مغاير يعطيه هوية مستقلة عن غيره من النصوص التي توافقه في المستوى الإيقاعي،وذلك من خلال اكتشاف الجو النفسي المسيطر على الشاعر من خلال الألفاظ المستخدمة للتعبير عن واقعه ،أو من خلال معرفة المستوى الإيقاعي الذي يتم اختياره الشاعر دون وعي أحيانا ولكن حالته الشعورية تهديه لاختيار الإيقاع (البحر الشعري) الذي يتناسب مع حالته النفسية لحظة كتابة النص .

من هنا جعلت بعض النصوص المتوافقة في الوزن والقافية نصا واحدا عند بعض متذوقي الشعر ،لأنهم ببساطة لم يتعايشوا مع أجواء تلك النصوص والتي تنبض بها الألفاظ الموحية والتي تحدد هوية ذلك النص وتعيده لبيئته الشرعية .

وقد وجدت في الشعر النبطي الكثير من ذلك . وسأعرض ثلاثة نصوص متوافقة وزنا وقافية ،لكنها مختلفة في بيئة إنتاجها وحالة شعرائها .

النصوص الثلاثة معروفة النسبة ولهذا لن أتطرق لذكر أسماء منتجيها ولكن سأعرض هذه النصوص وسأبين مواطن الاختلاف بينها من خلال الحقول الدلالية والألفاظ الموحية التي تبين هوية كل نص على حده .

يقول أحد الشعراء في نص قديم :

واهـــني بـريـه شـــاف الـلـي كـوانـي
شـــاف مـا شـــافـت عـيـونـي واهـنـيـه
صـــاحـبـي فـي روتـــن دونـــه مـبـانـي
دونـــه الـبـيـــدان والـــــواح قـويـه

نلاحظ من خلال الألفاظ الدلالية الموحية أن العاطفة الشعرية المسيطرة على الشاعر هي عاطفة الشوق لرؤية محبوبته والتي تسكن في بيئة حضرية من خلال لفظتي (روتن ... البيدان)وهذا يعطي للنص هوية الاستقلال عن أي نص يختلف معه في الغرض الشعري والبيئة المنتجة والظروف النفسية المؤثرة،حتى لو وافقه وزنا وقافية .

أما النص الثاني فيقول الشاعر :

فاطري هجي هجيج بروجاني واعذابك وان مطرى خلي عليه
في الربيع وكل حي في مكاني واتحرى الصيف يجمعهم عليه

فهذا النص يقع في نفس سياق النص السابق من خلال المستوى الإيقاعي و الغرض الشعري والعاطفة المسيطرة على كلا الشاعرين ،إلا أن البيئة التي ولد فيها النصان مختلفة وذلك راجع للمعجم الدلالي الذي استخدمه كل شاعر بناء على بيئته التي يعيش فيها ويتأثر بها ويوظفها في نتاجه اللغوي

فالشاعر في النص الثاني يعيش في بيئة بدوية تعاني من الترحال الذي يفرق الناس تبعا لمواطن المطر ومواطن السكنى القبلية ولهذا استخدم الألفاظ التي ترسم لنا هذا المشهد من خلال (فاطري – الربيع – اتحرى الصيف)فكل هذه الألفاظ وظفت دلاليا للتعبير عن حالة الشاعر عندما يسقط المطر في أكثر من مكان ويرحل الناس له .وقد يتفرق من جمعتهم الظروف بفعل الظروف .لكن الصيف يعيد الناس الذين فرقهم المطر للأماكن التي يتجمع فيها الماء وبالتالي يتجمع المتفرقون بفعل الظروف المناخية .

أما النص الثالث وهو أكثر النصوص اختلافا ،نظرا للحالة النفسية لمنتج ذلك النص .ولأنه لا ينتمي للنصوص السابقة ولا يوافقها إلا في المستوى الإيقاعي فقط .لكن الغرض الشعري مختلف تماما .

حيث يقول الشاعر :

يـــازيـــون الـــحـــره يـافـيـف الـــعـــالي
مـــن زيـنـكـم عـــدة الله فـــي عـلـيـه
مـزيـن الـلـي قـطـعـت عـلـه الـعـوالـي
دام رامـــك حـــي قـعـطـامـي قـويـه
والـــعـــديـق مـن الـعـدو الـيـوم بـالـي
مـــثـــل .....ومـــعـــروفـــه عـلـيـه

فهذا النص- كما سبق وذكرنا- مختلف تماما ،إذ ليس نصا غزليا كسابقيه .لكنه نصا افتخاريا نتيجة لموقف حياتي تعرف الشاعر من خلاله على نوعية أصحابه وأعاد فيه الفضل لأهله بتمجيدهم ولعل الألفاظ تدل على ذلك من مثل (قطعت العوالي -زينكم) فكلها تدل على أن الشاعر في حالة قلق واكتئاب سلبي للبيئة المحيطة .حيث تخلى عنه أقرب أقربائه .

من هنا نستطيع أن نقول أن هذه النصوص تحمل كل منها هوية مستقلة لا يمكن أن تتداخل مع غيرها من النصوص التي تتقاطع معها في بعض من السمات،والفيصل في ذلك يعود للمعاجم الدلالية المستخدمة من قبل منتجي النصوص .

سالم الرويس

كلام عيونك

سولف وفضفض لي وفلّ شجونك
تكفا طلبتك لايطول سكاتك
ابلغ من لسانك كلام عيونك
لبيه ياصوتك ويانظراتك
قدر عليك الحزن يخطف لونك
و أول من أنكر صورتك مرآتك
الدمع خيّم في ضفاف جفونك
اضحك قبل لا يذبلنّ وردات
لا تترك الضيقة تهزّ ركونك
وتسرق عناقيد الفرح بشفاتك
وين الحياة اللي تبل غصونك
وين ابتساماتك وغمازاتك
لا يجرفك ل/اليأس سيل ظنونك
وتحطّم آمالك وتخسر ذاتك
ترى حياتي باهته من دونك
تعال بعترني و لمّ شتاتك

اعزف على عود الحياة لحونك
بدّدْ تعب عمرك وعش مافاتك
انفض غبار اليأس فوق متونك
وارفع على جسر الأمل راياتك
لدّ النظر فيني وأنا مديونك
و اتركني أسبح دجلتك وفراتك
مافات خلّه والبقا بطعونك
اللي بصدري تسهرك وتباتك
مارس جنونك يافديت جنونك
الله لايخلي خافقي مداتك
وان قلت وينك قلت لك ياعونك
آمر وانا كلي تحت مرضاتك
بس انت سولف و إعتبر مفتونك
لو تطلبه حتى عيونه جاتك

عطاالله ممدوح